سياسة سعود

– كما يصفها ابن سند –[1]

كان لسلطان الوهابيين سعود بن عبد العزيز سياسة عجيبة في تسيير الجيوش وجمعها ، وسنبين لك نبــذة من سياسته في تجنيد الجنود ، وكيف استولى على ذلك الملك الكبير بحجة نشر الدين وإماتة البدع :

(كان آل سعود أمة ضعيفة فقيرة ،وبلادهم ناشفة ليست مخصبة كريف مصر والعراق ، حتى يمكنهم جباية المال منها ، وكان لهم رياسة على العــارض فقط ، فلما اجتمع بهم عالمهم محمد بن عبد الوهاب النجدي ، في القرن الثــاني عشر ، حسّن لهم نشر الدين المحمدي وإماتة البدع...و « دسّ لهم دسيسة » – كذا – وهي ان هذه الحركات مما يجعلكم ملوك الإسلام عموماً ،لأنه لم يبق في ملوك الإسلام من ينكر المنكر ، فطاوعوه ، وهكذا الدول لا تتأسس إلا بالسلطان والدين معاً - انظر مقدمة ابن خلدون - فاقتضى رأيهم أن يحاربوا القرية التي بقربهم ،مثلاً ،ويدعوهم إلى ما هم عليه ، فحاربوها ،وأطاعهم قرى نجد جميعها ،وشروطهم التي يشرطونها على من يدخل في معتقدهم هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمــداً رسول الله ،

---

(١) انظر كتاب « مطالع السعود في أخبار الوالي داود » – لابن سند : اختصره المدني .

وإقام الصلاة وإيتـاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً والجهاد ، وأن تكونوا معنا على أهل البدعة وعلى الكفار وعلى قطّاع الطريق ، فلما يسمع منهم هذا الكلام ، العامي يقول : هو الحق .. ويعاهدهم على هـذه الشروط ، ولكن لا يعلم ما وراءها ، فيفرضون على تلك القرية عشرين رجلاً ، مثلاً ، في كل حرب، بشرط ان العشرين رجلاً إذا وصلوا للمساعدة مع ابن سعود يكون معهم رواحلهم وزادهم الذي يكفيهم شهراً مثلاً ، وانهم يحضرون في اليوم الفلاني مثلاً الذي يعينه لهم ساعة الطلب ، فإذا أراد ابن سعود قتال قرية أو قبيلة فأولاً يرسل إلى القرى التي أطاعته ويطلب من كل قرية مقدار العسكر المفروض على تلك القرية أو القبيلة ، فيأتي اليه من هنا عشرون ومن هناك مائة ومن هنـا خمسون وهكذا .. فتجتمع معه ألوف من الرجال محاربين بسلاحهم ورواحلهم وزادهم الذي يكفيهم شهراً ، فيسير بهم ويحارب القبيـلة العاصية ، ولكنه يحرص ان مدة سفره لا تزيد على الشهر المعين حتي لا ينفد زاد العسكر المصحوب معهم من عند أهلهم فيحتاجون لأن يمدهم سعود بزاد من عنـده ، فإذا حارب القبيلة العاصية وطوّعها شرط عليها تلك الشروط المتقدمة أيضاً ، وهكذا فلو فرضنا أنه أرسل إلى القبيلة الطائعـة وطلب منها مقدار العساكر المفروضة عليها فأخرتها عن الميعـاد يوماً واحداً أو جاء بعض عسكرها ضعيفاً لا يقدر على الكرّ والفرّ أو كان زادهم قليلاً أو كان بعضهم راحلته هزيلة فيغضب ويردّ العسكر إلى قريتهم، وبعد رجوعه من تلك الغزوة أول ما يبدأ به تأديب تلك القرية التي خالفت عهوده وينكلها وينهبها وربما يقتل شيخها ، فلهذا صار متى أرسل لكل قرية أو قبيلة يطلب العسكر المفروض عليها فلم يكن لهـا بد من إحضار العدد المعـلوم من أقوى الرجال على أفره الرواحل مع الزاد الذي يكفيهم .

فبهذه السياسة صار يبلغ جيش ابن سعود إلى عشرين ألف مقاتل ، بل بلغنا أنه جيَّش خمسين ألف مقاتل في بعض الأحيان ، وجميع هـذه الجيوش وتلك الحروب لم يخسر فيها لا صفراء ولا بيضاء ، بل كان يحارب ومصرفه على نفسه ،

سامعاً مطيعاً باذلاً مـــاله ودمه في سبيل الله ، وذلك لحسن سياسة ابن سعود ، ولفصاحة الدعاة والوعّاظ الذين حسّنوا لهم ذبح أنفسهم فاستحسنوه .

فافطن لهذه السياسة التي ملك بها جزيرة العرب أجمع بغير درهم ولا دينار ، ولم يفتح معدناً ولا جبى خراجاً بل كان كل ما يحصله من الدراهم والمغـــانم في غزواته ...